إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الثانية – العدد السابع – خريف ۱۳۹۱ش/ أيلول ۲۰۱۲م

دراسة نقدية فى حياة أبى الفرج الإصفهانى وكتابه الأغانى

حسن دادخواه*
محمد حسن‌زاده**

الملخص

أبوالفـرج الإصفهانى مـــن كبار العلماء وأعيان الأدبـاء فى القـرن الثالث الهجرى، وكان عالمـاً بأيام النّاس والأنساب والسير. تطرّقنا فى هذا المقال إلى حياته العلميّة والثقافيّة ودرســنا شــخصيته بما فيها من الغموض؛ إذ نراه ينتمى إلى التشــيّع مع أنّه أمويّ النسب، وعرضنا بعض ما وصل إلينا من آراء العلماء حول شخصيته.

ورأينا أنه رغم غزارته العلميّـة والأدبيّة لايخلو من بعض الإســاءات والهفوات. وعمدنا إلى كتابه الأغانـى، ذلک الكتاب الشــهير الــذى اعتبر من أهم مصادر فى اللغة العربيــة وتاريخها والذى يغلب عليه صحة النقــل؛ فعالجناه وعثرنا على بعض الأخطاء والروايات الضعيفة.

واعــترف الكثير من العلماء بمكانة أبى الفرج العلميّــة والأدبية؛ وكتابه الأغانى يعتبر موســوعة أدبيّــة وتاريخية؛ إذ يحمل بــين دفّتيه ترجمة لحيــاة معظم الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين والمحدثين، كما يتضمن بعض الأحداث التاريخية.

الكلمات الدليلية: أبوالفرج الإصفهانى، الأغانى، الشعر، الأدب.

---

*. أستاذ مشارک بجامعة الشهيد چمران فى أهواز، إيران. Dadkhah1340@yahoo.com
**. مدرس اللغة العربية فى دائرة التربية والتعليم فى مدينة أهواز، إيران.

التنقيح والمراجعة اللغوية: د. هادى نظرى منظم
تاريخ الوصول: ۱۳۹۱/۲/۱هـ. ش تاريخ القبول: ۱۳۹۱/۸/۲۴هـ. ش

المقدمة

نرى على مدى العصور، الكثير من كبار العلماء قد أحاطت بهم الغموض والتعقيد، فهذا أبو لفرج الإصفهانى أحد كبار العلماء فى العصر العباسى قد تضاربت الآراء فى شخصيّته ومكانته العلميّة والأدبيّة وقد تعرّض من قبل بعض العلماء لشيء من الإساءة. فقد ألّف كتاباً ضخماً وأطلق عليه اسم «الأغانى» الذى اشتهر به وذاع صيته فى العالم وقد استحسنه وأعجب به الكثير من العلماء كأمثال ابن خلدون وغيرهم.

وقد وجدنا فى حياة أبى الفرج الإصفهانى بعض الغموض والتعقيد، ثمّ فى كتابه الأغانى بعض الأخطاء والروايات الضعيفة، وأوردنا آراء العلماء المختلفة فى هذا المجال؛ ولايسعنا دراسة وتقييم هذه الآراء بما فيها من الصعوبة وقد نكتفى بذكرها ونعتبرها نقطة إيجابيّة فى حياة أبى الفرج الإصفهانى تدلّ على مكانته العلميّة والأدبيّة التى لفتت أنظار الكثير من العلماء والأدباء فى الشرق؛ فقد كان لأدبه وعلمه طابع إيجابى وصدى واسع فى عصره.

أهمية البحث ومنهجه

البحث عن زوايا من حياة أبى الفرج الإصفهانى الغامضة وإلقاء الضوء على أعماله العلميّة والأدبية هو ما نتطرّق إليه فى هذا المقال. أبوالفرج الإصفهانى من أكبر علماء عصره وزمانه، وقد امتاز بكتابه الأغانى، وقد بذلنا جهدنا فى دراسة شخصية هذا الأديب والتعرّف على آثاره وأعماله، وكشفنا عن بعض الغموض فى حياته.

وبدأنا فى المقال بدراسة حياة أبى الفرج العلميّة والأدبيّة والثقافية، ثمّ درسنا شخصيّته وأقوال الآخرين عنه، كما حاولنا أن نلقى ضوءا على جوانب من شخصيّته، ثمّ تطرّقنا إلى كتاب الأغانى وحاولنا أن نبيّن أهميّته من الناحية الأدبية والعلمية، ثم درسنا بعض الأخطاء والروايات الضعيفة التى أوردها الإصفهانى فى هذا الكتاب. وفى الأخير قدّمنا نتيجة البحث للقارىء الكريم.

حياته ونسبه

أبو الفرج على بن الحسين القرشى الأصبهانى أو الإصفهانى، كان مولده فى أصفهان

مــن مدن إيران، إســتناداً إلى لقبه الذى عرف به واشــتهر، ويقال إنّه بغدادىّ المنشــأ والمســكن وينتهى نســبه إلى مروان بن محمّد آخر خلفاء بنى أميّة، وكانت ولادته ســنة ٢٨٤ق فى خلافة المعتضد بالله.

نشــأ أبوالفرج فى أسرة حريصة على طلب العلم والثّقافة؛ فكان جدّه محمّد بن أحمد الإصفهانى من كبار الرّجال فى سامراء وكان له صلة وثيقة بالوزراء والأدباء والكتّاب، ووالده الحســين بن محمد يقطن بغــداد ويحرص على طلب العلم والثّقافة الشّــائعة فى عصره، وكذلک كان عمّه الحســن بن محمّد من كبار الكتاب فى عصر المتوكّل العبّاســى. (الأغانى، ١٩٧٠م: ٧/ ١٣٣)

فنبغ فى العلم والفقه والتّاريخ واللغة وتلمّذ عند كثير من الشيوخ الكبار فى كوفة من أمثال: مطين بن أيّوب، والحسين بن الطيب الشجاعى، ومحمّد بن الحسين الكندى مؤدّبه فى الكوفة وغيرهم. ثمّ ســكن بغداد وقد اتخذ ســبيل التعلّم بمساعدة علماء بغداد الذين كانــت تمتلىء بهم المســاجد وأبرزهم: أبوبكر بن دُريد، وكان إماماً فى الأدب والشــعر واللغة والأنســاب، والفضل بن حباب الجمحى، وعلى بن سليمان الأخفش، والنفطويه النحوىّ الشهير، ومحمد بن جرير الطّبرى المؤرخ والمفسّر والفقيه، وعنه روى أبو الفرج الأصفهانى معظم أخبار العرب القديمة ومغازى الرّســول (ص) وأشعار الشّعراء الدعوة الإسلامية. (ياقوت الحموى، ١٩٨٠م: ١٣/ ٩٥)

وبعد أن تخرّج على أيدى كثير من علماء بغداد والكوفة وأدبائهما، أخذ الإصفهانى يعقد حلقات دراســية، ولازمه كثير من المحدثين والأدباء والشعراء. ومن أشهر تلامذته الإمام الدّار قطنى، ويحيى بن مالک الأندلسى، وأبوالحسين على بن محمّد، وإبراهيم بن مخلّد الباقرجى، وعلى بن أحمد الرزّاز وغيرهم. (الأصمعى، ١٩٥٠م: ٧٢ـ٧٠)

توفّى الإصفهانى سنة ٣٥٦ق وقيل إنّه خولط فى عقله قبل موته.

حياته العلميّة والثقافية

يعتبر الإصفهانى من أكبر أدباء العرب، وهو عالم بأيّام النّاس والأنســاب والسّــير، كمــا أنّه يشــاهد الأحداث فى عصــره، إذ كان يتنقّل فى حياته بــين ثلاث مدن كبرى: إصفهــان، والكوفة ثمّ بغداد وسمع الكثير من الأخبار والقصص والمرويات خلال حياته

التى امتدّت زهاء ثمانين سنة.

اتّصل الإصفهانى بوزير البويهيين الحسن بن محمّد المهلبى وحظى عنده ولهذه الصّلة أثر كبير فى حياته العلمية، كما كان للوزير مجلس كبير يشارك فيه الكثير من العلماء والأدباء من أمثال أبى القاسم التنوخى وأبى إسحاق الصابى، والشاعر الكبير أبى الطيّب المتنبى. وكان أبوالفرج فى رأس هذا المجلس. (ياقوت الحموى، ١٩٨٠م: ١٠٨/١٣ و ١٠٩)

تشير المصادر التّاريخية إلى أنّ لأبى الفرج صلات بملوك الأندلس من بنى أميّة، وكان يؤلّف لهم الكتب ويرسلها إليهم؛ فمن ذلک كتاب نسب بنى عبد شمس، وكتاب أيام العرب ألف وسبعمائة يوم، والتعديل والانتصاف فى مآثر العرب ومثالبها، وجمهرة النسب، ونسب بنى شيبان، ونسب المهالبة، ونسب بنى تغلب، ونسب بنى كلاب، والغلمان المغنون و... . (المصدر نفسه: ١٠٩/١٣)

وكانت له صداقة مع الوزير المهلبى قبل أن يتولّى منصب الوزارة، وبعد انتصابه وزيراً عَمِل كنديم فى بلاط المهلبيين، يؤنسون به ويتمتّعون بأخباره ونوادره وحكاياته. وله مدائح فى الوزير المهلبى؛ من ذلک قوله:

ولما انتَجَعنا لائذين بظلّه أعانَ وعنّى ومنّ وما منّا

وردنا عليه مقترِينَ فراشَنا ورُدنا نَداهُ مجدِبينَ فأخصبنا

(ابن خلكان، ١٩٩٤م: ٣/ ٣٠٨)

ثمّ صار الإصفهانى كاتباً فى ديوان ركن الدّولة، ونال عنده حظوة ومكانة عالية. ومع أنّه كان يسعى أن ينال رعاية الوزير ابن العميد، لكنّه أخفق فى ذلک. وكان بينه وبين السّيرافى النحوىّ تّنافس. يقول أبو الفرج فى ردّ السّيرافى:

لستُ صدراً ولا قرأتُ على صد ر ولا علمک البكى بشافى

لعن الله كلّ نحو وشعر وعروض يجىء من سيرافى

وكانت بين الإصفهانى والوزير أبى عبد الله البريدى سوء علاقة، وهجاه الإصفهانى بقصيدة طويلة تزيد على مائة بيت عندما ولّاه الرّاضى بالله الوزارة:

يا سـماء اسقطى ويا أرض ميدى قد تولـى الـوزارة ابـن البريدى
جـلّ خطـب وحلّ أمـر عضال وبـلاء أشـاب رأس الوليـد

(ياقوت الحموى، ١٩٨٠م: ١٠٣/١٣)

قـد ألّف الإصفهانى كتباً كثيرة يبلغ عددها ثلاثين، منها كتاب مقاتل الطّالبيين، وهو مـن مؤلّفاته الأولى، ومناجيب الخصيان، وكتـاب التعديل والانتصاف، وأخبار القيان، والإماء الشواعر، والمماليک الشعراء، وأدب الغرباء، والأخبار النوادر، وأدب السّماع، وأخبار الطفيليين، والخمّارين والخمّارات، وأخبار جحظة البرامكة.

وكتابه الشّـهير الأغانى، وهو الّذى اشـتهر بسـببه وذاع صيته. يقـال إنّه جمعه فى خمسـين سنةً وقدّمه للوزير المهلّبى وحمله إلى سيف الدّولة بن حمدان، فأعطاه ألف دينار واعتـذر إليه. يعتبر هذا الكتاب مـن أمّهات الكتب فى الأدب ومن المصادر الأولى لمن يكتـب عن الأدب العـربى. يتضمّن الأغانى التّراجم وأخبار الشـعراء والمغنّين وبعض الأعـلام والأدباء، كما يتضمّن بعض الأحـداث التّاريخية التى أثّرت فى التّاريخ العربى قبل الإسـلام وبعده. ويعتبر أيضاً موسـوعة جامعة شـاملة. قال عنـه ابن خلدون فى مقدّمته: جمع فيه أخبار العرب وأشـعارهم، وأنسـابهم، ودولهم، وجعل مبناه على الغناء فى المائة صوت التى اختارها المغنون للرشيد. (ابن خلدون، ١٩٠٠م: ٥٥٤) اعتبره ابن خلدون ديوان العرب. (المصدر نفسه: ٥٧٣)

شخصيته

يرجع نسـب أبى الفرج إلى بنى أميّة، لكنّه كان يتشـيّع؛ ومع أنّ العلماء والمؤرّخين قد اجتمعوا على سـعة علمه، وكثرة محفوظه، وجودة شعره، وكثرة تأليفه، يقول القاضى أبـو على التّنوخى أحد معاصريه: «ومن رواة المتشـيعين الذين شـاهدناهم أبو الفرج على بن الحسـين الأصفهانى، فإنّه كان يحفظ من الشـعر والأغـانى والأخبار والآثار والأحاديث المسندة والنّسب ما لم أر قطّ من يحفظ مثله، وكان شديد الاختصاص بهذه الأشـياء ويحفظ دون ما يحفظ منها علوما أخرى منها: اللغة والنحو والخرافات والسِّيَر والمغـازى، ومن آلة المنادمة شـيئاً كثيراً، مثل علم الجـوارح والبيطرة ونتف من الطب

والنجوم والأشربة وغير ذلک، وله شعر يجمع إتقان العلماء وإحسان الظرفاء الشعراء.» (الخطيب البغدادی، لاتا: ٣٩٩/١١) ثم إنّه كانت له رحمة وألفة بصنوف الحيوان، يأنس بصحبتها، ويعالجها إذا أصابتها علّة، ويأسى لموتها، وقد أثرت عنه أبيات رقيقة فی رثاء ديک له مات:

أبكی إذا أبصرت ربعک موحشا ... بتحنن وتأسف وشهيق
ويزيدنی جزعا لفقدک صادح ... فی منزل دان إلیّ لصيق
فتأسّفی أبداً عليک مواصل ... بسواد ليل أو بياض شروق

لكنّه لايعتنی بمظهره، ويبدو وسخاً قذراً دائماً، وكان النّاس يتّقون هجاءه، كما ورد فی كتاب معجم الأدباء: «كان أبوالفرج الإصفهانی صاحب كتاب الأغانی ... وسخاً قذراً، ولم يغسل له ثوباً منذ فصله إلى أن قطّعه ... وكان النّاس على ذلک العهد يحذرون لسانه، ويتّقون هجاءه ويصبرون على مجالسته ومعاشرته ومواكلته ومشاربته وعلى كلّ صعب من أمره لأنّه كان وسخاً فی نفسه ثمّ فی ثوبه وفعله حتّى إنّه لم يكن ينزع دراعة إلا بعد إبلائها وتقطيعها ولايعرف لشیء من ثيابه غسلاً ولايطلب منه فی مدّة بقائه عوضاً.» (ياقوت الحموی، ١٩٨٠م: ٦١/٥)

ويقول ابن الجوزی عن شخصية أبی الفرج: «... ومثله لايوثق برواياته، يصرّح فی كتبه بما يوجب عليه الفسق، ويهوّن شرب الخمر، وربّما حكی ذلک عن نفسه، ومن تأمّل كتاب الأغانی رأی كلّ قبيح ومنكر.» (ابن الجوزی، ١٣٥٨ق: ٤٠/٧)

ويعتقد بعض العلماء أنّ أبا الفرج كان أكذب النّاس. فقد أورد الخطيب البغدادی أنّ أبا محمّد الحسن بن الحسين ابن النّوبختی كان يقول: «كان أبوالفرج الإصبهانی أكذب النّاس، كان يشترى شيئاً كثيراً من الصّحف ثمّ تكون كلّ روايته منها.» (الخطيب البغدادی، لاتا: ١١/ ٣٩٨)

غموض شخصية الإصفهانی

تباينت الآراء وتضاربت الأفكار حول شخصية أبی الفرج الإصفهانی، فالعلماء معظمهم يتفقون على مكانته الثّقافية والعلمية ولكن يختلفون فی قيمته الذّاتية، يرى

الثّعالبى أنّه كان من أعيان الأدباء، ويرى ابن خلّكان فى كتابه وفيات الأعيان أنّه روى عن علماء يطول تعدادهم فكان عالماً بأيام النّاس والأنساب والسّير، ويروى التنوخى قوله فيه أنّه كان يحفظ من الشّعر والأغانى والأخبار والآثار والأحاديث المسندة والنسب. وسبق أن أوردنا أن أبا الفرج الإصفهانى أمويّ النّسب، جدّه مروان بن محمّد آخر خلفاء بنى أميّة، ونرى فى أقوال الكثير من العلماء أنّه من المتشيّعين، فهنا نرى شخصية بالغة التعقيد؛ أهو أمويّ كان يدّعى التّشيّع؟!

ويقول الذّهبى فى السّير: «والعجب أنّه أمويّ شيعىّ. قال ابن أبى الفوارس: خلط قبل موته. قلتُ: لا بأس به.» (الذهبى، لاتا: ٢٠٢/١١) وقال أيضاً فى تاريخ الإسلام: «روى عن طائفة كثيرة، وكان إخبارياً نسّابة شاعراً ظاهر التّشيع ... وهذا عجيب إذ هو مروانىّ يتشيّع.» (الذهبى، لاتا، ١٤٤)

بغضّ النّظر عمّا يقال عن غموض شخصية الإصفهانى، فنحن نرى فى كتاب الأغانى روايات شنيعة نسبها إلى آل البيت عليهم السّلام وهو لايبالى أن يطعن فيهم ويجرح سيرتهم. فكيف يمكن أن نعدّه متشيّعاً؟

ذكر ابن نديم أنّ الإصفهانى كانت أمّه تنتمى إلى آل ثوابة، وهى أسرة مسيحية اعتنقت الإسلام، والتزمت بالتّشيع وهم عرفوا فى عصرهم بالكتابة والأدب والشعر، فمن هنا يبدو أن الإصفهانى أخذ التشيّع عن أمّه وأيضاً لنشأته فى الكوفة أثر كبير فى تشيّعه. (ابن النديم، لاتا: ١٦٦-١٦٧) نرى إذن تشيّعه سطحيّاً.

آراء العلماء فى أبى الفرج

ولنذكر هنا بعض أقوال العلماء والأعلام حول أبى الفرج الإصفهانى:

قال هلال بن المحسّن الصابى: «كان أبو الفرج الإصفهانى وسخاً قذراً، ولم يغسل له ثوباً منذ فصّله إلى أن قطّعه، وكان النّاس على ذلك يحذرون لسانه، ويتّقون هجاءه، ويصبرون على مجالسته، ومعاشرته، ومؤاكلته، ومشاربته وعلى كلّ صعب من أمره، لأنّه كان وسخاً فى نفسه، ثمّ فى ثوبه، وفعله...» (ياقوت الحموى، ١٩٨٠م: ١٠٠/١٣)

وذكر الخطيب البغدادى فى تاريخه: «حدّثنى أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طباطبا

العلويّ، قال: سمعت أبا محمد الحسن بن الحسين بن النوبختي كان يقول: كان أبوالفرج الإصبهانى أكذبَ النّاس، كان يشترى شيئاً كثيراً من الصّحف، ثمّ تكون كلّ رواياته منها.» (الخطيب البغدادى، لاتا: ٣٩٨/١١)

وقال العلامة ابن الجوزى: «... ومثله لايوثق بروايته، فإنّه يصرّح فى كتبه بما يوجب عليه الفسق، ويهوّن شرب الخمر وربّما حكى ذلک عن نفسه، ومن تأمّل كتاب الأغانى، رأى كلّ قبيح ومنكر.» (ابن الجوزى، ١٣٥٨ق: ٤٠/٧ و٤١)

ومن المعاصرين الذين درسوا شخصية أبى الفرج وكتابه الأغانى، الدكتور محمّد أحمد خلف فى خاتمة كتابه "أبوالفرج الإصفهانى الرّاوية". يقول الدكتور خلف: «ولقد وقفنا على ما لأبى الفرج من ميول وأهواء فيجب أن نحذر هذه الميول وهذه الأهواء، كلّما حاولنا الاعتماد على ما خلّف الرّجل من مرويات فقد يكون الرّجل مضلّلاً، وقد يكون صاحب غرض وهوى. وليس يخفى أنّ للأهواء حكمها فى التّاريخ، وهو حكم قد يملى رغبته لا فى ذكر الأخبار فحسب، وإنّما أيضاً فى الكتمان.»

يُستفاد مما سبق أن أبا الفرج كان ذا علم واسع وثقافة كبيرة وبفضل هذه المكانة تقرّب من البويهين، واتّصل بالوزراء والكبراء آنذاک، وتولّى منصب الكتابة فى حكومة البويهيين وقد أجلسه "ركن الدولة" على منصّة القضاء لمدّة أيّام؛ فهو من جهابذة العلم والأدب فى عصره.

كتاب الأغانى

كتاب الأغانى من أمّهات كتب التّراث العربى، ويعتبر هذا الكتاب موسوعة أدبيّة وتاريخيّة يتضمّن تراجم وأخبار الشّعراء والمغنّين وبعض الأعلام والأدباء، كما يتضمّن الأحداث التّاريخيّة التى أثّرت فى التّاريخ العربى.

يذكر الإصفهانى فى مقدّمته سبب تأليف هذا الكتاب، فيقول: «والذى بعثنى على تأليفه، أنّ رئيساً من رؤسائنا كلّفنى جَمعه له، وعرّفنى أنّه بلغه أن الكتاب المنسوبَ إلى إسحاق الموصلى مدفوع أن يكون من تأليفه، وهو مع ذلک قليل الفائدة، وأنّه شاكّ فى نسبته، لأن أكثر أصحاب إسحاق ينكرونه، ولأن ابنه حمّاداً أعظم إنكاراً لذلک ... .»

(الأغـانی، المقدمة، ۱۹۷۰م: ۵/۱)، ولكنّه لم يذكر لنا فی مقدّمته من هو الذی طلب منه أن يقوم بتأليف هذا الكتاب وقد اكتفی بهذا القول أنّ رئيساً من رؤسائه كلّفه بجمعه.

وقـد ذكر ياقوت الحموی فی معجم الأدباء أنّ الإصفهـانی كان نديماً للوزير المهلّبی وقد ألّف كتاب نسب المهالبة وكتاب مناجيب الخصيان وأيضاً ألّف كتابه الضخم الأغانی للوزير أبی الحسـن محمّد بن الحسـن المهلبی، ويذكر ياقوت الحموی أنّ الوزير المهلّبی سـأل أبا الفرج الإصفهـانی عن كتابه الأغـانی والمدّة التی قضاهـا فی تأليفه فأجاب الإصفهانی أنّه ألّفه فی خمسين سنة. (ياقوت الحموی، ۱۹۸۰م: ۱۳/ ۱۰۳ و ۱۰۶)

وذكر ابن خلّكان أنّ: «الصّاحب بن عبّاد كان فی أسـفاره وتنقلاته يستصحب حمل ثلاثـين جملاً من كتب الأدب ليطالعها، فلمّـا وصل إليه كتاب الأغانی لم يكن بعد ذلک يسـتصحب سواه، اسـتغناءً به عنها.» (ابن خلكان، ۱۹۹٤م: ۳ / ۳۰۷) وكتب ياقوت الحموی بخطّه نسخة من كتاب الأغانی فی عشر مجلّدات وجمع تراجمه، ونبّه على فوائده.

فالأغـانی قـد ألّف فی عصر البويهيين وتناول الغناء منـذ الجاهلية إلى عهد الخليفة المعتضـد بالله المتوفّی سـنة ۲۸۹ق. وضـمّ بين دفتيه الكثير مـن الرّوايات والحكايات العجيبة مما لم تورد فی كتب أخرى.

ومن ميزات هذا الكتاب الضخم يمكن الإشـارة إلى كثرة الروايات والقصص التی ذكرها الإصفهانی عن المغنّين وأهل الطّرب والمجون، وأيضاً قد ذكر الكثير من الأعلام الشـعراء والأدباء، كما يشتمل على مواضيع شتّى من تاريخ الإسلام. لكن هناک آراء تشـكّک فی المنهج الذی سلكه الإصفهانی فی تأليف كتابه هذا وقيمته الأدبيّة والعلمية. يقول الدكتور محمّد غنيمی هلال: «رواية من أخبار عبدالرّحمن بن عمّار الشهير بالقس وهيامه بسـلامة المُغنيّة أو أخبار عروة بن حزام وحبيبته عفراء، فكلّ هذه المشاهد التی يعرضها الإصفهانی حول لقاءات بين قس وسـلامة، خاصة تلک الأماكن التی تتخفّف فيـه المغنّيات من جلّ ملابسـهنّ، تجعلنا نرتاب فی صحّة هـذه الأخبار، أو على الأقل لانعتمد عليها كرواية من تاريخ الإسـلام لأنّها لن تتّفق مع روح الإسلام وكيف الرّجل يترک زوجه مع رجل آخر وهو يعلم ما يدور بينهما من الحبّ والوجد والشّـوق، وهل هذه من تعاليم الإسلام أن يقدّم الرّجل امرأته فی خلوة مع رجل آخر، يتشاكيان لواعج

الهوى وألم الوجد، فيصوّر الإصفهانى هذه المشاهد بهذه العبارات: «وقد وفد على زوج حبيبته بالشّـام، فأكرمه الزّوج فأحسن مثواه، وخرج وتركه مع عفراء يتحدّثان ... فلمّا خلوا تشاكيا ... .» (هلال، لاتا: ١٩)

ويقول صاحب كتاب السّيف اليمانى: «اعتمد أبوالفرج الإصفهانى فى كثير من أخباره السّوداء المظلمة المسمومة على طائفة خبيثة من الرّواة الكذّابين والمجروحين والمطعون عليهم واعتبر أخبارهم موثّقة ولوّث صفحات تاريخنا وأدبنا بالسّخائم والبلايا.» (الأعظمى، ١٩٨٨م: ٢٧)

ومن يدقق فى هذا الكتاب يرى فيه من الرّوايات الواردة ما ليس لها إسناد موثوق به، ومرد ذلک أن الإصفهانى قد نقل عن رجال لايوثق بهم وطعن عليهم الكثير من العلماء الأقدمين. وقد ذكر وليد الأعظمى فى كتابه الآنف الذكر الكثير من هؤلاء الرّجال.

وأيضاً نرى أنّ الإصفهانى يروى رواياته على لسان أشخاص وهميّة، فيقول على سبيل المثال: سمعتُ رجلاً يقول كذا ... أو حدّثنى شيخٌ عن رجلٍ يقول كذا ... أو يقول: قالت جاريةٌ، رأيتُ فلانة ترقص ... . ومع هذه نرى الكثير من العلماء والمستشرقين اعتمدوا فى كتاباتهم عن التاريخ الإسلامى ورجاله على هذا الكتاب.

يقول ابن الجوزى فى كتاب المنتظم: ومثله لايوثق بروايته؛ فإنّه يصرح فى كتبه بما يوجب عليه الفسق، ويهوّن شرب الخمر وربّما حكى ذلک عن نفسه و من تأمّل الأغانى رأى كلّ قبيح و منكر. (ابن الجوزى، ١٩٠٠م: ٤٠/٧و٤١)

ونرى فى طيّات هذا الكتاب الضّخم بعض الإساءة إلى آل بيت رسول الله (ص) مثل تلک الرّوايات التى يرويها عن سُكينة بنت الحسين (ع) واجتماعها مع عمر بن أبى ربيعة وأيضاً مجالستها الشعراء، فيذكر الإصفهانى هذه، فيقول: أخبرنى على بن صالح قال: حدثنا أبو هفان، عن إسحاق، عن أبى عبدالله الزبيرى قال: اجتمع نسوة من أهل المدينة من أهل الشرف، فتذاكرن عمر بن أبى ربيعة وشعره وظرفه وحسن حديثه، فتشوقن إليه وتمنينه... فأرسلت "سكينة بنت الحسين" إليه رسولا وواعدته الصورين، وسمت له الليلة والوقت، وواعدت صواحباتها. فوافاهن عمر على راحلته، فحدثهن

حتى أضاء الفجر وحان انصرافهن، فقال لهن: والله إنى لمحتاج إلى زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والصلاة فى مسجده، ولكنّى لا أخلط بزيارتكنّ شيئا، ثم انصرف إلى مكة من مكانه، وقال فى ذلک:

قالت سكينة والدموع ذوارف منها علي الخدين والجلباب
ليت المغيرى الذى لم أجزه فيما أطال تصيدى وطلابى
كانت ترد لنا المني أيامنا إذ لا تُلام علي هوى وتصابى

(الأغانى، ١٩٧٠م: ١/ ١٧١)

وتكرار هذه القصيدة فى مواضع مختلفة من هذا الكتاب يلفت انتباهنا ويجعلنا نرتاب فى صحّة هذه القصّة. أمّا فى موضع آخر يروى لنا الإصفهانى قصة أخرى عن مجالسة سكينة بنت الحسين (ع) مع الشّعراء فيقول: أخبرنى الحسن بن على قال: حدّثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه قال: أخبرنى عيسى بن إسماعيل، عن محمّد بن سلام، عن جرير المديني، عن المدائنى وأخبرنى به محمد بن أبى الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن محمّد بن سلام. وأخبرنى به أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى، عن عمر بن شبة موقوفا عليه، قالوا: اجتمع فى ضيافة سكينة بنت الحسين عليهما السلام، جرير والفرزدق وكثيّر وجميل ونصيب، فمكثوا أياما، ثم أذنت لهم فدخلوا عليها، فقعدت حيث تراهم ولايرونها وتسمع كلامهم، ثم أخرجت وصيفة لها وضيئة وقد روت الأشعار والأحاديث، فقالت: أيّكم الفرزدق؟ فقال لها: ها أنذا، فقالت: أنت القائل:

همالتانى من ثمانين قامة كما انحط باز أقثم الريش كاسره
فلمّااستَوَت رِجلاىَ فى الأرضِ قالتا أحى فيُرجَى أم قَتيل نحاذره
فقلت ارفعوا الأمراس لايشعروا بنا وأقبلت فى أعجاز ليل أبادره
أبادر بوابين قد وكلا بنا وأحمر من ساج تبصّ مسامره

فقال: نعم، فقالت: فما دعاک إلى إفشاء سرّها وسرّک؟ هلا سترتها وسترت نفسک؟ خذ هذه الألف، والحق بأهلک. (المصدر نفسه: ١٦/ ١٦٩و ١٧٠)

و فى مواضع أخرى من هذا الكتاب يروى الإصفهانى روايات أخرى عن سُكينة

بنت الحسين عليهما السّلام والتى يرتاب فيها من يطالع هذه القصص الموضوعة، فهو يظهر لنا أنّ سُكينة بنت الحسين (ع) خبيرة بالغناء تحكم بين المغنّين. (المصدر نفسه: ٢/ ٣٦٥) وفى موضع آخر تُرجع سُكينة، ابن سريج إلى الغناء بعد توبته. (المصدر نفسه: ١٧/ ٤٢ ٤٥) فكيف يمكن أن نتأكد من صحّة هذه الروايات؟

والإصفهانى لم يكتف بطعن آل البيت عليهم السلام بل بشتم دين الإسلام علناً ويفضّل الجاهلية عليه ويعتبرها خيراً من الإسلام (المصدر نفسه: ١٣/ ٢٦٤) وهو يستهزىء بالصلاة (المصدر نفسه: ٤/ ٢٧٧)، ورغم هذا كله يدّعى أنّه من المتشيّعين.

يقول محمّد عبد الجواد الأصمعى عن كتاب الأغانى: يتبّين لنا من الرّوايات التى أوردها أبوالفرج الإصفهانى فى كتابه الأغانى أنّه كان قد تساهل فيما نقله من الكتب، أو قد كان اطلاعه لم يكن بشكل كاف وقد نقل مشافهة عن البعض. (الأصمعى، ١٩٥٠م: ١٣٢ وما بعدها)

ونستنتج هنا أنّ أبا الفرج قد جمع بعض ما وصل إليه من الرّوايات دون العناية بتحقيق صحّتها وحقيقة وقوعها. إذ نرى كتاب الأغانى كتاباً جامعاً يشتمل على الكثير من الرّوايات والقصص، أوردها صاحبها كما وصلت إليه، ومن هنا وقع فى بعض المزالق والهفوات.

النتيجة

حاولنا فى هذا المقال أن نتحاور مع شخصية أبى الفرج ونكشف الغموض عنها، وأشرنا إلى تباين الآراء وتضارب الأفكار حول شخصيّته؛ إذ نرى فى آراء الكثيرين أنّ أبا الفرج له شخصيّة علميّة وله أعمال كثيرة، كما أن البعض لايثقون به. وهناك تناقض فى موقفه، فهو أمويّ النّسب ونراه متشيّعاً، وهذا شيء غريب وموقف غير مفهوم يحتاج إلى تأمّل. لكنّنا حاولنا أن نبصر التاريخ ونتبصّر أحداثه، لأنّ التاريخ ضرورة للحاضر؛ والإصفهانى رغم كثرة علمه وغزارة أدبه قد وقع فى بعض المزالق فى كتابه الضخم المسمّى بالأغانى والذى اعتبره العلماء كتابا لايستغنى عنه أى أديب. ولاغرو؛ فالكتاب يجمع بين دفّتيه الكثير من الروايات الصحيحة والضعيفة أو المنحولة.

ونرى فى طيّات الكتاب روايات شـنيعة تنسب إلى أهل البيت عليهم السلام، الأمر الذى يجعلنا نرتاب أكثر فأكثر فى شـخصيته وتشـيّعه وفى صحّة بعض ما نقله فى كتابه الأغانى.

المصادر والمراجع

ابن الجوزى، عبد الرحمن بن على. ١٩٠٠م. المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم. بيروت: دار صادر.

ابن النديم، لاتا. الفهرست. لانا.

ابن خلدون، لاتا. مقدّمة. بيروت: المطبعة الأدبيّة.

ابن خلكان، أحمد بن محمّد. ١٩٩٤م. وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان. حققه الدكتور إحسـان عبّاس. بيروت: دار صادر

الإصفهانى، أبو الفـرج. ١٩٧٠م. الأغانى. تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم وآخرين. القاهرة: الهيئة العامّة المصرية للتأليف والنّشر.

الأصمعى، محمّد عبدالجواد. ١٩٥٠م. الإصفهانى وكتابه الأغانى. القاهرة: دارالمعارف.

الأعظمى، وليد. ١٩٨٨م. السيف اليمانى فى نحر الإصفهانى صاحب الأغانى. المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنّشر.

الثعالبى، أبو منصور. ١٣٧٥ق. يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر. القاهرة: لاتا.

الخطيب البغدادى، أحمد بن على. لاتا. تاريخ بغداد. بيروت: دار الكتب العلمية.

خلـف الله، محمّد أحمد. ١٩٥٣م. صاحـب الأغانى أبوالفرج الإصفهانى فى الرواية. القاهرة: مكتبة نهضة مصر.

الذهبى، شمس الدين محمد بن أحمد. لاتا: السير. لانا.

الذهبى، شمس الدين محمد بن أحمد. لاتا: تاريخ الإسلام الكبير. لانا.

الفاخورى، حنّا. ٢٠٠٥م. الجامع فى تاريخ الأدب العربى. بيروت: دارالجيل.

مكى، الطاهر أحمد. ١٩٧٧م. دراسة فى مصادر الأدب. القاهرة: دار المعارف.

هلال، محمد غنيمى، لاتا. النقد الأدبى الحديث. القاهرة: لاتا.

ياقوت الحموى. ١٩٨٠م. معجم الأدباء. بيروت: دار الفكر.